بسم الله الرحمن الرحيم

مقدّمة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام الأتمان الأكملان على سيد المرسلين المبعوث رحمة للعالمين بشيراً ونذيراً وداعياً إلى الله بإذن ربه وسراجاً منيراً .

وبعد : فإن هذا الكتاب القيم والسفر الجليل (إظهار الحق) الذي نقدمه لروّاد الحق والمنصفين من القراء ، جاء متوّجاً لفترة جهاد مستمر وكفاح طويل بين علماء المسلمين في الهند والمبشرين من فرقة النصارى الذين يريدون بشتى الوسائل ، وبمختلف الطرق ، الانتهاء من هذا الدين ، مستغلين توالي المصائب على المسلمين ، وتصدع صفوفهم وبرود العاطفة الإيمانية في قلوبهم من جهة ، والانخداع بالحضارة الغربية وانفتاح مباهج الحياة عليهم من جهة أخرى ، في صخب هذه الموجة الهوجاء والفتنة الممزّقة لوحدة الصف الإسلامي المخدرة للحس الديني نشط أعداء الاسلام للدعوة إلى باطلهم المموّه بخبث ودهاء تارة ، وبالإغراء والتهديد تارة أخرى ، فانجذب إليهم مرضى النفوس وضعاف الإيمان الذين تنكروا لدينهم ومبادئهم القيمة وقيمهم العريقة الأصيلة ، وعزّ عليهم أن يفارقوا ما ألفوه من متعة وشهوة ومركز يعود عليهم بعرض من الدنيا قليل فاستعلن أمر الضلال وتبجح الباطل في غرور ، حتى آل بهم الحال أن جعلوا من الشوارع والأماكن العامة والأسواق في القارة الهندية منابر لنشر الكفر البواح ، يتحدّون المعتقدات الاسلامية ويهاجمون العلماء ويصفونهم بالخور والجبن وضعف الحجة وأنهم ليسوا بقادرين على إثبات صحة هذا الدين وعلى

رأسه هذا القرآن ، ورسالة محمد عليه الصلاة والسلام ، ليصلوا إلى هدفهم من إثبات ألوهية عيسى عليه السلام ، وأحقية دين المسيح المخلص للعالم بزعمهم إلى غير ذلك ، مما ستراه في ثنايا الكتاب ، وشنوا حملة لا هوادة فيها على طبقات الشعب المسلم يوردون عليه شبهات وأوهاماً وتفسيرات حسب أهوائهم يقتطعونها من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ يلبسونها ثوب الحق ويدّعون أحقيتها زوراً وبهتاناً وعاش المسلمون فترة قاسية ومحنة أطاشت عقولهم وشلت نشاطهم ولكن الله سبحانه الذي تكفّل بنصرة دينه وإعلاء كلمته لن يترك الباطل يجول ويصول فلابد له من ضربة قاضية وصدمة عاتية تدعه هباء ليحق الله الحق ويبطل الباطل ولو كره المجرمون وتحقق الوعد النبوي بأنه لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم ، حتى يأتي أمر الله وشاءت إرادة الله العلي القدير أن يرشح للذود والدفاع عن حمى هذه الشريعة الشيخ العلامة محمد رحمة الله بن خليل الرحمن العثماني فانبرى بأمر الله قدراً ربانياً وسيفاً إسلامياً مسلولاً على أعداء الحق يجاهد باللسان والقلم لا يخشى إلا الله ولا يخاف لومة لائم ، يرد للمسلمين ثقتهم بدينهم وأنهم الأعلون ولو وقفت كل القوى في جانب خصومهم ، وقد تحدى قسسهم وعلى رأسهم القسيس (فندر) طالباً عقد المناظرة العلنية ليهلك من هلك عن بينة ويحيا من حيٍّ عن بينة على أن تحدد في الأمور التي طال فيها النقاش والأخذ والرد ، وسيرى القارىء هذه الأمور المحددة في مستهل الكتاب ، وإنك يا أخي القارىء العزيز لتعجب حين تعيش مع مناظرة هذا الرجل العلامة أجزل الله ثوابه وهو يناقش أية قضية كيف يأتي عليها من كل زاوية بدقة تامة وتجرد نزيه ، ثم يتناولها بالتفنيد والنقد من نفس المصادر التي يعتمد عليها الخصم ومن أقوال من يوثق بهم من علمائهم حتى يتضح الصبح لذي عينين ويبرهن على عبودية المسيح عليه السلام ، وعلى وجود

التحريف والتناقض في الإنجيل والتوراة بعرض النصوص ومقابلتها مع بعضها وعلى تنزيه ساحة النبوة والأنبياء من كل نقيصة ومذمة ، كما يليق بمقامهم وقدرهم عليهم الصلاة والسلام ، ومقام الرسالة التي أرسلهم الله بها لهداية الناس أئمة يهدون بالحق وبه يعدلون ، وعلى أن القرآن الكريم لا تناقض فيه ولا اختلاف ، وأنه مكتوب في السطور ، محفوظ في الصدور ، هو من عند الله بيقين ، نزل به الروح الأمين على قلب محمد رسول الله ليكون من المنذرين بلسان عربي مبين وأنه لو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً ، ولا يفوته رحمه الله أن يكرّ ثانية بعد أن أجهز على خصمه وعلى مستمسكاته أن يدعم الحق بالأدلة من كتاب الله وسنة رسوله، ليجمع بين الحجتين وبذلك يكون قد أرجع الحق إلى نصابه وأثلج صدور المؤمنين ، وأذهب غيظ قلوبهم ، ورد كيد الأعداء في نحورهم وذهبت جهودهم أدراج الرياح ، وسيرى القارىء الكريم هذا بصورة أوضح ، كلما جدّ في السير في موضوعات الكتاب ولولا خشية الإطالة لأتينا بنبذ تطلعنا على براعة المؤلف العلمية ودقته ونزاهته وإلزامه الحجة على خصمه ، وكيف يدينه بحجته ويلزمه أن يحفر عن حتفه بظلفه فينقلب خاسئاً وهو حسير .

وختاماً فإن هذا الكتاب الفذ في موضوعه ، حاسم بأمر الله تعالى للقضاء على الحملات المغرضة ، والشبهات الهدّامة ، التي طالما يرددها المستشرقون ودعاة الضلال لينفثوا في أوساط القراء المثقفين سمومهم .

ولذا فقد رأت إدارة الشؤون الدينية أن الكتاب قلعة حصينة وكنز ثمين للباحثين ، وصاعقة هدامة لقلاع المفسدين ، وسلاح قوي للدعاة من المسلمين المخلصين ، فاستخارت الله تعالى في طبعه وتعميم نفعه وهي إذ تقوم بهذا العمل المبارك الطيب الأثر ، لترجو من الله أن يجعل ذلك خالصاً إبتغاء وجه الله وجهاداً لإعلاء كلمة الله ، وخدمة

جليلة لصون عقيدة هذه الأمة من عبث المغرضين الذين لا يرقبون في مؤمنٍ إلًّا ولا ذمة .

وها أنت تقرأ بعد هذه المقدمة شرحاً واضحاً من فارس الميدان فضيلة السيد أبي الحسن علي الحسني الندوي وقد وفَّاه حقه وبين خوض المؤلف في مبادىء جهاده حفظه الله ونفع بعلمه .

ثم بعد ذلك تَطَّلع على ترجمة المؤلف التي قدمها أحد أبنائه الأفاضل وهو الشيخ/ محمد مسعود بن محمد سليم رحمة الله ، ثم تشرع في الاطلاع على معركة الجهاد التي حقق المؤلف النصر فيها.

ونسأل الله أن يجزل المثوبة لمؤلفه ومحققه ومن ساهم في إخراجه ، إنه سبحانه خير مأمول وأكرم مسؤول ولا يضيع أجر من أحسن عملاً .

وصلى الله على سيدنا محمد الذي جاء بالحق وأزهق الباطل وعلى آله وأصحابه المهتدين بهديه إلى يوم البعث والنشور ، سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين ، والحمد لله رب العالمين .

في ١٦ من ذي الحجة ١٤٠٠هـ
الموافق ٢٥/١٠/١٩٨٠م

خادم العلم
عبد الله بن إبراهيم الأنصاري
مدير الشؤون الدينية
الدوحة ــ قطر

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم الكتـــــاب
بقلم السيد/ أبي الحسن علي الحسني الندوي

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ وعلى آلـه وأصحابه وسلم .

أما بعـــــد :

فإنه يسعد كاتب هذه السطور أن يسطر سطوراً في موضوع يتصل بعلم من أعلام هذه الأمة .

قيضه الله للذبِّ عن حوزة الإسلام ، وإظهار الحق ، وإزالة الشكوك وإزالة الأوهام[1] حين كان الخوض في هذا الموضوع مجازفة بالحياة ودعوة للموت الزؤام ، وأتى في ذلك بحجج وبراهين لم يسبق إليها . ولقي خصومه على يده من الهزيمة والانتكاص ما لم يلقوه من قبل وانتهت إليه الرئاسة في هذا الفن ، في القرن الرابع عشر الهجري (القرن التاسع عشر الميلادي) وطبقت شهرته الآفـاق وسلم له معاصروه وأقرانه وعلماء العالم الإسلامي ، بالأمانة والزعامة في هذا الموضوع ، ألا وهو مولانا رحمة الله الكيرانوي مؤلف هذا الكتاب « إظهار الحق » ومؤسس المدرسة الصولتية بمكة المكرمة ودفين المعلاة (١٢٣٣هـ ــ ١٣٠٨هـ) .

---

(١) تلميح بأسماء ومؤلفات العلامة الشيخ محمد رحمة الله الكيرانوي المكي الثلاثة الشهيرة وهي : « إظهار الحق » « وإزالة الأوهام » « وإزالة الشكوك » ، وله كتاب رابع في نفس الموضوع وهو « أصح الأحاديث في إبطال التثليث » .

مأثرة عظيمة تكفي للبلوغ به إلى درجة العلماء الخالدين والأبطال المجاهدين ، إنه وقف في الدفاع عن الإسلام وتمحيص الحق والباطل ودحض الشبهات وإعادة الثقة إلى نفوس المسلمين ورفع معنوياتهم ، واعتزازهم بفضل دينهم على الأديان كلها وإعجاز كتابهم وخلود رسالة نبيهم ﷺ في أحوال رهيبة وساعات عصيبة ووقف في وجه خصوم[1] كانوا ينتمون إلى الفاتحين الذين يتمتعون بأكبر سلطة وقوة في ذلك العصر ، وحكومات قوية ومملكة لا تغرب عنها الشمس ، ومدنية زاهرة دافقة بالحياة والنشاط ، وكان هو بالعكس ينتمي إلى شعب[2] جريح القلب والجسم ، متحطم الأعصاب شغيف الثقة بتراثه وأمجاده يعيش في عزلة عن العالم ، ينظر إليه الانجليز كالمنافس الطبيعي الوحيد ، والخطر الحقيقي على زحفهم وتقدمهم في آسيا وأفريقيا بصفة خاصة ، وقد انتشر القسس ـ النصارى الأوروبيون والمتنصرون الهنود ـ في مدن الهند وقراها بحماس زائد ونشاط كبير يدعون أنصاف المتعلمين والأميين إلى دين الفاتحين الأقوياء الأغنياء الذين حالفهم الجد وواكبهم النصر في كل ميدان ، وكفى بذلك دليلاً على صدق الدين الذي يدينون به في عيون الجهلاء الضعفاء .

وقد ضعفت معرفة علماء المسلمين ـ فضلاً عن عوامهم ودهمائهم ـ بالنصرانية ومصادرها ـ بما فيها العهد القديم والجديد وشروحهما وتفاسيرهما ـ وتاريخهما ـ وتطورها وارتقائها وما طرأ عليها من تغييرات وتحويلات وما مر بها من أحداث وطوارىء ، وما عبث بها من حكومات ومجامع ، كانوا في شغل شاغل بما كانوا يدرسونه من علوم

---

(١) القساوسة الأوروبيون .
(٢) الشعب المسلم الهنـدي .

دينية شرعية ، أو فنون عقلية يونانية[1] وبحوث كلامية وفقهية ، وتحقيقات تفسيرية وحديثية ، فكان هذا الزحف العلمي والعقائدي مفاجأة لعلماء المسلمين ، شبيهة بتبييت أو غارة في ظلام الليل ، وكان الوقوف في وجهها ومقاومتها تحتاج إلى شجاعة معنوية وحمية دينية متأججة ، وصبر طويل وهمة عالية ، تحث على دراسة المسيحية من ينابيعها الأصلية ، واستعراض واسع بما كتب عنها ، إثباتاً ونفياً ، وتوثيقاً ومعارضةً ونقداً وبحثاً ، وكان الذي يبدأ بهذه الرحلة الطويلة المضنية ليشعر بأنه سائر في نفق طويل مظلم ، وكانت وسائل هذه الدراسة وموادها ، مفقودة أو نادرة ندوراً كبيراً ، وقد وضع أكثرها في اللغات الأجنبية ، وكان من أقربها إلى علماء هذه البلاد ـ شبه القارة الهندية ـ اللغة الانجليزية ، وكانوا حديثي العهد بها ، وقد زهدهم فيها وكرهها إليهم أنها لغة الفاتحين المهينين لهم ، ولا يتوقع وجود هذه المصادر في هذه البلاد ، لأن ذلك ينافي مصلحة الدعوة إلى النصرانية ، ويضعف موقف الدعاة إليها ، ويثير عليهم مشاكل جديدة ، فكانوا على إقصائها من هذه البلاد أحرص منهم على جلبها أو تزويد المكتبات بها .

كل ذلك كان يعقد حمية الشيخ رحمة الله وزملائه ، الذين وهبوا حياتهم للدفاع عن الإسلام ، ودحض الشبهات حوله ، والوقوف

---

(١) يستثنى من ذلك أفذاذ من أصحاب الاختصاص في دراسة الديانات الأجنبية والاطلاع على العهد القديم والجديد ، من علماء أسرة حكيم الإسلام ولي الله الدهلوي . الذين كانوا يدرسون التوراة والإنجيل مع ما يدرسونه من الكتب والمصحف ، والشواذ من علماء الهند المتبحرين أمثال العلامة السيد آل حسن الموهاني (١٢٨٧هـ) صاحب كتابي (الاستفسار والاستبشار) والشيخ عنايت رسول الجرياكوتي (١٣٢٠هـ) صاحب كتاب (البشرى) الذي درس اللغة العبرانية وأتقنها .

بالقسس و « المبشرين » ـ كما كانوا يسمون أنفسهم ـ في موقف الدفاع بدل موقف الهجوم ، وتلك هي الحكمة الحربية « والاستراتيجية » الجدلية التي ما زالت ولا تزال سياسة القادة المحنكين ، والحذاق العسكريين ، ولكن ذلك لم يفت في عضد الشيخ الذي هيأه الله ليخوض هذه المعركة الحاسمة التي لا بد أن يخوضها الشعب المسلم الهندي الذي واجه الدعوة المسيحية وجهاً لوجه ، قبل أن يواجهها شعب آخر في قطر إسلامي أو عربي ، فكان يتوقف عليه مصير الشعوب الإسلامية والشعوب العربية كلها ، التي كانت هذه الدعوة في طرقها إليها ، فإذا قدر الله أن يخرج هذا الشعب الأعزل المثخن بالجراح من هذه المعركة الجدلية الكلامية والعلمية الإستدلالية ، فاتحاً مظفراً ، مرفوع الرأس شامخاً بأنفه ، تراجع هذا السيل على أعقابه أو ضعف مده وطغيانه .

قام الشيخ رحمة الله وشمر عن ساق الجد والاجتهاد . ونذر لله أن لا يهدأ حتى يدرس مصادر النصرانية ، ومراجعها ، دراسة عميقة دقيقة ويغوص فيها وينقب .

وقد شحذ عزمه على ذلك قدوم القس الطائر الصيت فندر من انكلترا ، وقد قام بنشاط كبير وحماس زائد ، في مناظرة علماء الهند ، وقد تحداهم تحدياً سافراً ، وقام بجولة في مديريات الهند يخطب في مجامع ، ويدعو إلى النصرانية ، وكانت المشكلة مشكلة اللغة ، وكان الشيخ لا يعرف اللغة الانجليزية ، ولتعلم اللغات الأجنبية من طبيعته قد تخطاها الشيخ ، الذي ظل زمناً طويلاً مشغولاً بالعلوم الدينية والعقلية ، وكان فندر لا يعرف إلا اللغة الانجليزية ، وكان مشاركاً في اللغة العربية والفارسية ، فأين القنطرة التي تصل بينهما ، وأين الرجل

الذي يساعد الشيخ رحمة الله في الاطلاع على المصادر الأجنبية ، والوثائق المسيحية التاريخية ؟

هنالك قيض الله له مسلمًا غيوراً ــ ولله جنود السموات والأرض ــ وهو الدكتور محمد وزير خان الأكبر آبادي الذي سافر إلى لندن سنة ١٨٣٢م يدرس الطب الجديد ، وقد نال فيها شهادة عالية وأتقن اللغة الإنجليزية ، ودرس اللغة اليونانية ، وعني بدراسة المسيحية من مصادرها الأصلية واقتناء كتبها ، واستصحب هذه المكتبة الثمينة[1] إلى الهند ، وكان عضد الشيخ الأيمن في هذا الجهاد العلمي الكبير الذي كان جهاد الساعة وواجب الوقت .

ولما أكمل الشيخ رحمة الله مهمته في الدراسة ، وأخذ عدّته وعتاده لخوض المعركة وقد استفحل أمر « فندر » فقد رأى أن الجو قد خلا له ، فازداد جرأة وتحدياً ، رأى الشيخ رحمة الله أنه لا سبيل إلى الحد من نشاط هؤلاء القسس - وفي مقدمتهم وعلى رأسهم القس « فندر » وإعادة الثقة إلى نفوس المسلمين ومقاومة « مركب النقص » فيهم إلَّا مناظرة فندر في جمع حافل يحضره المسلمون والمواطنون ، والحكام الأوروبيون ، والنصارى والمتنصرون ، وكان فندر كثير الإدلال بكتابه « ميزان الحق »[2] فخوراً متبجحاً به ، ويرى أنه ليس من السهل معارضته ، ونقضه من علماء المسلمين .

حرص الشيخ رحمة الله على مناظرة القس « فندر » كل الحرص

---

(١) ساهم الدكتور في ثورة ١٨٥٧م وهاجر على أثرها إلى مكة المكرمة حيث لحق بالشيخ رحمة الله ومات ودفن بالبقيع .

(٢) صدرت له الطبعة الثامنة باللغة الفارسية سنة ١٨٤٩م من أكره والطبعة الثالثة باللغة الأردية سنة ١٨٥٠م .

فراسله في هذا الموضوع وألح عليه بالظهور أمام الجمهور وعلماء المسلمين ، واستعان في ذلك بكل من يرى فيه غناءً أو تأثيراً ، ولما رأى القس أنه لا مناص له من هذه المناظرة ، قبلها راضياً أو مكرهاً وهو لا يقدر نتائجها تقديراً صحيحاً ، وتقرر عقد مجلس المناظرة في ١١ من رجب سنة ١٢٧٠هـ (١٠ من أبريل ١٨٥٤م)[١] في أكبر آباد ـ اكره إحدى مديريات الولاية الشمالية الرئيسية وأحد مجالات النشاط التبشيري في الهند ، وفي حي من أحيائها المعروفة بحارة « عبد المسيح »[٢] .

بدأ الحفل في اليوم المعين ، والساعة المحددة وقد حضرها ولاة المديرية من حكام وقضاة وبعض كبار موظفي الثكنة الانجليزية من الإنجليز ، وحضر القس الشهير (**FUNDER**) والقس (وليم كلين) (**WILLIAM CLEAN**) وعدد كبير من أعيان البلد ووجهائه ، ومن أبناء البلد المسلمين والمسيحيين والهنادك والسيخ ، وكان الدكتور محمد وزير خان بجوار الشيخ رحمة الله يساعده ويتعاون معه ، وكانت خمس قضايا موضوع البحث والمناظرة وهي : ـ

١ ـ التحريف في الكتاب المقدس (العهد القديم والجديد) .
٢ ـ وقوع النسخ .
٣ ـ التثليث .
٤ ـ نبوة محمد ﷺ .
٥ ـ صدق القرآن وصحته .

---

(١) قبل الثورة بثلاث سنوات .

(٢) منسوبة إلى أحد المتنصرين من أبناء البلد ، يظهر من ذلك نفوذ حركة التنصير في داخل البلد .

وقد تقرر أنه إذا انتصر الشيخ رحمة الله في هذه المناظرة يدخل فندر في الإسلام وإن كان بالعكس يتنصر الشيخ . . أسفرت هذه المناظرة التي لفتت أنظار المعنيين بالقضية في داخل البلد وخارجه ، وكانت حديث النوادي ، والشغل الشاغل والمقيم المقعد في البلد عن اعتراف القس « فندر » بوقوع التحريف في ثمانية مواضع من الإنجيل ، وقد أفزع ذلك الولاة وأنصار (فندر) وشيعته . ولكنه سهم أطلق من القوس فلا راد له ، وتزايد عدد الحاضرين في الغد وازداد عدد الحكام الانجليز ، والمسيحيين والهنادك والسيخ ، وحضرها جم غفير من المسلمين وأصرّ (فندر) على أنَّ الأخطاء التي وقعت في الإنجيل كانت من سهو الكاتب ، أما العبارات التي تتضمن عقيدة التثليث وألوهية المسيح والفداء والشفاعة فهي مصونة من التحريف وقد ردّ عليه الشيخ بقوله (أنك ما دمت قد اعترفت بوقوع التحريف في الإنجيل ، فقد أصبح هذا الكتاب مشكوكاً فيه برمته) وانتهى البحث على ذلك ، ولم يرجع القس إلى البحث والمناظرة في اليوم الثالث[1] وكان من الواضح أنه انسحب عن ميدان المناظرة ، وكان انتصاراً رائعاً للجانب الإسلامي ، قويت به معنوية المسلمين وتشجعوا على مواجهة القسس ورد دعاويهم ، وفقدت الدعوة التبشيرية الكثير من اعتبارها وقيمتها .

وبعد عامين قامت ثورة ١٨٥٧م التي كانت المحاولة الأخيرة اليائسة للتخلص من « الأخطبوط » الانجليزي وطرح نيره ، وعلى أثر إخفاقها تعرض المسلمون لرد فعل عنيف من جهة الانجليز الفاتحين الموتورين الذين

---

(١) راجع للتفصيل « البحث الشريف في مسألتي النسخ والتحريف » في خطابة هذه المناظرة وخبرها للشيخ رفاعي الخولي على هامش « إظهار الحق » طبع المطبعة العلمية باستنبول عام ١٣١٥هـ .

كانوا يعتبرون المسلمين أصحاب الفكرة والقيادة في هذا النضال ، والمواطنين تابعين لهم ، فكان حنقهم شديداً على علماء المسلمين وأهل الخطر منهم ، ومن له شأن في المجتمع الهندي ، يعلقونهم على المشانق ويقتلونهم بتعذيب ، وإهانة ، ويبحثون عن كل من كانت له كلمة مسموعة أو نفوذ في المجتمع ، وكان من ضمنهم وفي مقدمتهم الشيخ رحمة الله الكيرانوي الذي انتصر عليهم في المعركة الدينية ، وأسهم في الكفاح ضدهم ، وقد اختفى مدة في قرية صغيرة ، ولما دخلت الجيوش الانجليزية في هذه القرية أخذ المنجل ودخل في مزرعة وتشاغل بحصاد الحقل كفلاح صغير مغمور ، واستطاع بذلك أن ينجو بنفسه ويصل إلى « سورت » ميناء الهند ويهاجر منها إلى البلاد المقدسة ، وكان ذلك في سنة ١٨٦٢م يعني بعد الثورة بخمس سنوات ، وصودرت أملاكه التي كانت كبيرة وواسعة ، وبيعت بالمزاد العلني ، وكان ذلك في أيام خلافة السلطان عبد العزيز العثماني ، وإمارة الشريف عبد الله بن عون ، ولما عرفت منزلته العلمية في مكة ، وبلاؤه في الدفاع عن الإسلام سمح له بالتدريس في الحرم المكي ، وتوثقت بينه وبين عالم مكة الجليل الشيخ أحمد بن زيني دحلان الصداقة ، وهو الذي كان له الفضل في التعريف به عند الشريف وعلماء مكة وأعيانها .

وصادف أن القس « فندر » بعدما قضى فترة في الأقطار الأوروبية كألمانيا وسويسرا وانجلترا أرسلته الإرسالية الكنسية في لندن إلى القسطنطينية ليقوم بالدعوة والتبشير في مقر الخلافة الاسلامية وقلب العالم الإسلامي ، وقد قابل السلطان عبد العزيز وحكى له قصة المناظرة في الهند وذكر أنه كان للمسيحية فيها انتصار على الإسلام ، وأهم ذلك السلطان عبد العزيز خليفة المسلمين ، وكتب إلى شريف مكة بأمره بالاتصال بأهل الخبرة من حجاج الهند والحصول على المعلومات الصحيحة عن هذه المناظرة

وثورة ١٨٥٧م وإحاطة الباب العالي بحقيقة الأمر ، وكان الشريف قد اطلع على حقيقة الأمر عن طريق شيخ العلماء السيد أحمد دحلان ، فكتب بذلك إلى الآستانة ، وذكر أن العالم المسلم الذي كان بطل هذه القضية موجود في مكة فأنفذ السلطان بطلبه إلى الآستانة ، وتوجه الشيخ إليها في سنة ١٢٨٠هـ (١٨٦٤م) ، ولما علم القس فندر بتوجهه إلى القسطنطينية غادر العاصمة لساعته ، وعقد السلطان مجلساً للعلماء والوزراء حكى فيه الشيخ قصة المناظرة ، وكيف انتصر فيها الاسلام على المسيحية ، وقص قصة ثورة ١٨٥٧م وحينئذ فرض السلطان قيوداً على نشاط المبشرين والإرساليين في الدولة العثمانية وسنّ في ذلك قوانين صارمة ، وكثيراً ما كان السلطان يجتمع بالشيخ بعد صلاة العشاء ويصغي إلى حديثه ، ويحضر هذا المجلس خير الدين باشا التونسي الصدر الأعظم وكذلك شيخ الإسلام وغيره من كبار العلماء .

واقترح السلطان عبد العزيز والصدر الأعظم خير الدين باشا على الشيخ بعدما سمعا قصة المناظرة ، وعرفا طول باعه وواسع اطلاعه في هذا الموضوع وقوة عارضته واقتداره على نقد المسيحية ومصادرها ، أن يؤلف كتاباً بالعربية يتناول فيه القضايا الخمس التي دار عليها البحث في مناظرة أكره بالتحقيق والتفصيل ، وقبل الشيخ هذا الاقتراح ، وبدأ في تأليف كتاب « إظهار الحق » وهو مقيم في الآستانة في شهر رجب ١٢٨٠هـ وأكمله في ذي الحجة في نفس السنة يعني في ظرف ستة أشهر ، وقدمه إلى السلطان ولكنه ذكر في المقدمة أن هذا التأليف كان تحقيقاً لرغبة شيخ العلماء السيد أحمد بن زيني دحلان ، فكلمه في ذلك خير الدين باشا ، وقال إنه كان امتثالاً لأمر أمير المؤمنين ، فكان اللائق أن ينوه بذلك إكراماً لمركز الخلافة وإنصافاً للواقع فاعتذر الشيخ وقال : إن هذا العمل كان واجباً أن يكون خالصاً لوجه الله لا يشوبه غرض دنيوي أو تزلف إلى أمير أو سلطان ، وقد

سبق أن شيخ العلماء رغب إليّ في ذلك وترجّا في أن أقيد خبر هذه المناظرة ، وكنت قد بدأت بجمع بعض المواد في مكة ، وله فضل في تقديمي إلى شريف مكة ، وهو الذي كان السبب في وصولي إلى سدة الخلافة ، لذلك آثرته بالذكر والاعتراف بالفضل .

وهكذا ظهر هذا الكتاب إلى حيز الوجود ويمتاز بعدة ميزات : —

(١) الأولى أن المؤلف آثر خطة الهجوم على خطة الدفاع التي لا تزال أقوى وأكثر تأثيرات النفس ، فإنها تلجىء الخصم إلى أن يتخذ موقف الدفاع وأن يقف في قفص الاتهام ، ويدافع عن نفسه وينفي التهمة ، وكان مما تورط فيه علماء المسلمين قديماً أنهم وضعوا التوراة والإنجيل والقرآن على مستوى واحد ، وبذلك نالت هذه الصحف القديمة ما لم تكن تستحقه من الثقة والتقدير ، مع أن أصحابها أنفسهم لا يدّعون أنها كلها كلام الله والوحي المنزل من السماء ، بنصه وقصه ، كما هو الشأن مع القرآن الكريم والمؤمنين به[١] .

وقد كان شيخ الإسلام تقي الدين أحمد بن تيمية ، موفقاً كل التوفيق في إيثار خطة الهجوم في كتابه « الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح[٢] » مع أن قيمة الصحف الأربعة للإنجيل لا تعدو عند المحققين قيمة كتب السيرة والحديث من الطبقة الثانية والثالثة ، ليس لها سند متصل صحيح ، وقد ألفت بعد رفع المسيح في فترات مختلفة ، وفيها أشياء من كلام المسيح وأشياء من أفعاله ومعجزاته[٣]

---

(١) راجع كتابنا « النبوة والأنبياء في ضوء القرآن » فصل « الصحف السماوية السابقة والقرآن في ميزان العلم والتاريخ » .

(٢) الكتاب في أربعة أجزاء وتقع في ١٢٩٥ صفحة ، طبع في مصر عام ١٣٢٢هـ .

(٣) راجع للتفصيل الجزء الثاني من « الجواب الصحيح » ص١٠ .

وقد تفطّن الشيخ رحمة الله بدقة دراسته وأصالتها ، وأصاب المحز ، فغير ذلك وجه البحث والجو الذي تقوم فيه المناظرة ، وأفقد الخصوم الموقف المشرف الذي تمتعوا به واستغلوه زمناً طويلاً .

(٢) الميزة الثانية أن المؤلف تجنب البحوث الدقيقة التي يتسع فيها مجال الجدال ، ويكثر فيها القيل والقال ، بل اعتمد في الكتاب على التناقضات الواضحة ، والبديهيات الجلية ، التي لا تقبل التأويل ، واستخرج منها نتائج كنتائج رياضية لا يختلف فيها اثنان ، فقد أثبت أن التوراة والانجيل مليئة بالاختلافات والتناقضات ، وقد وقعت فيها أخطاء فاحشة عدّ منها مائة وثمانية ١٠٨ أخطاء ، وبرهن بذلك على أنها كلها ليست إلهاماً من الله ، وأن التحريف قد وقع في « الكتاب المقدس » لا محالة من زيادة ألفاظ ، وحذف كلمات ، وعبارات إلحاقية ، وبذلك أصبح هذا الكتاب شديد الوطأة على من يؤمن بكونه صحفاً سماوية منزلة وصلت إلى البشر عن طريق الوحي والإلهام .

(٣) تعرض المؤلف فيه لمغالطات النصارى وتمويههم ، ورد عليها في أسلوب سائغ مقنع ، وتعرض لإثبات النسخ ووقوعه في الديانتين السابقتين وصحفهما .

(٤) وضع المؤلف العلّامة حقيقة عقيدة التثليث في النصرانية على محل العقل ونقدها نقداً علمياً يستسيغه كل من رزق العقل السليم والذوق الصحيح .

(٥) لم يكتف المؤلف بنقد المسيحية وعقائدها وصحفها ، بل أضاف إلى ذلك الحديث عن القرآن الكريم وإثبات أنه كلام الله ، لا شك في ذلك ، وأجاب في هذا الصدد على كل ما عارضه به النصارى ،

واعترضوا على القرآن ، وذكر في ذلك نبذة من سيرة الرسول ﷺ ومعجزاته والبشارات التي وردت في شأنه وقد ذكر ثماني عشرة ١٨ بشارة ، وحقق صحة الأحاديث . لذلك كان الإقبال على هذا الكتاب كبيراً والعناية به عظيمة ، وقد ظهرت له الطبعة الأولى في عام ١٢٨١هـ في استنبول ، ونقله عالم تركي إلى اللغة التركية وسماه بـ « إبراز الحق » وقامت الحكومة العثمانية بترجمة الكتاب في عدة لغات أوروبية ، ونقله أحد الكتّاب بالإنجليزية ـ في الهند إلى اللغة الإنجليزية ولا زالت هذه الترجمة الانجليزية موجودة في مكتبات الهند والباكستان[١] .

وترجمه الشيخ غلام محمد الرانديري إلى الكجراتية إحدى لغات الهند الإقليمية ، وترجم أخيراً إلى اللغة الأردية « بائيل سي قرآن تــك » (من العهدين القديم والجديد إلى القرآن) ، وهذه الترجمة في ثلاثة مجلدات ، قام بها الشيخ أكبر علي السهارنقوي أستاذ الحديث في دار العلوم ـ كراتشي ـ وقدم له فضيلة الشيخ محمد تقي العثماني بمقال مسهب في تاريخ المسيحية وشرح عقائدها ومبادئها ، ونقدها نقداً علمياً وتستحق هذه المقدمة العلمية القيّمة أن تنشر مفردة وتنقل إلى العربية والانجليزية[٢] واشترى القسس كميات كبيرة من طبعات الكتاب وأتلفوها إحراقاً وإبادة ليتغيب الكتاب من السوق وقد أعيد طبعه في مصر مراراً ، وأخيراً قامت وزارة الأوقاف والأمور الدينية في المغرب وأصدرت له طبعة ممتازة في ١٣٨٤هـ وأثنى على الكتاب وعلوّ مكانته كبار العلماء في الشرق العربي منهم

---

(١) مع الأسف لم ينزل هذا الكتـــاب إلى السوق وإلى المكتبات في الهنـد أو انجلترا لأسباب سياسية أخرى .

(٢) اقترح ذلك كاتب هذه السطور على صديقه الفاضل كاتب هذه المقدمة وناشر هذه المقدمة ، وناشر هذه الترجمة من باكستان وهو لا يزال متمسكاً بهذه الفكرة .

الشيخ عبد الرحمن بك باجه‌جي زاده في كتابه « الفارق بين المخلوق والخالق » ، ومنهم الشيخ عبد الرحمن الجزيري عضو هيئة كبار العلماء في مصر في كتابه « أدلـة اليقين » ، والعلامة السيد رشيد رضا منشىء مجلة « المنـار » في تقديمه لإنجيل برناباس ترجمة الدكتور خليل سعادة المسيحي ، والأستاذ عمر الدسوقي في مقدمة الكتاب » إظهـار الحق » .

أما الأوساط النصرانية الأوروبية فناهيك بما كتبته كبرى صحف انجلترا تعليقاً على هذا الكتاب .

« لو دام الناس يقرأون هذا الكتاب لوقف تقدم المسيحية في العالم » .

ونحن نكتفي في هذه العجالة التي كتبت كتقديم لهذا الكتاب العظيم باقتراح صديقنا الجليل الأستاذ محسن أحمد باروم صاحب دار الشروق « والكاتب على أهبة السفر وتشتت بال وتزاحم أشغال » . . والله ولي التوفيق .

أبو الحسن علي الحسني النـدوي

١٨/ ١١/ ١٣٩٨هـ
٢١/ ١٠/ ١٩٧٨م

بسم الله الرحمن الرحيم

مؤلـــف الكتـــــاب

الإمام المجاهد العلامة الشيخ محمد رحمة الله العثماني
أحد علماء الحرم المكي الشريف ومؤسس المدرسة الصولتيةبمكة المكرمة

ولادتـــــه ونســـــبه

ولد العلامة الشيخ محمد رحمة الله بن خليل الرحمن العثماني في بلدة كيرانة من توابع دلهي عاصمة الهند في شهر جمادى الأولى عام ١٢٣٣هـ الموافق ١٨١٨م . في عائلة شهيرة وأسرة كريمة اشتهر أفرادها في تلك المقاطعة أمراء ورؤساء وحكام وعلماء وأطباء . وينتهي نسبه إلى الإمام العادل ثالث الخلفاء الراشدين ذي النورين سيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه ، ولذلك يقال له العثماني . وكان أول من قدم إلى الهند من آل سيدنا عثمان هو الشيخ عبد الرحمن الكاذروني الجد الأعلى للشيخ ، حيث كان قاضياً شرعياً للجيوش الاسلامية التي فتحت الهند على يد السلطان محمود الغزنوي ، فاستقر الشيخ عبد الرحمن الكاذروني في بلدة (باني بت) وتوفي بها وقبره معروف حتى الآن ، وكان الشيخ رحمة الله من ذرية هذا المجاهد الغازي رحمه الله .

تحصـيله وتعلمـــــه :

بدأ في حفظ القرآن الكريم والمبادىء من الكتب المتداولة في بلدته كيرانة على يد كبار أفراد أسرته المشهورين بالعلم والفضل ثم شد رحله إلى دلهي عاصمة العلوم والفنون ، والتحق بإحدى المدارس الدينية ونال الحظ الأوفر من أمهات العلوم والكتب ، ثم أخذه حب العلم والمعرفة إلى بلدة لكنو مدينة الثقافة والحضارة . فأخذ عن عدة علماء أفاضل بها وتخصص في آداب اللغة الفارسية وعلوم الطب ، ولما فرغ من تحصيل العلوم الدينيـة والرياضة رجع إلى مسقط رأسه كيرانة ، وأسس مدرسة قام بالتدريس فيها مدة وجيزة ـ لازمه عدد من تلاميذه مدة طويلة وأصبحوا من العلماء العاملين في الهند . منهم العلامة الشيخ عبد الوهاب مؤسس أول مدرسة إسلامية بمدينة مدراس بالهند ـ عرفت وسميت بالباقيات الصالحـات ، والتي تعتبر اليوم أكبر كلية في مدينة مدراس الواسعة بجنوب الهند .

الحـــالة العامـــة بالهنـــد :

كانت فترة حياة الشيخ من أصعب الفترات التاريخية في الهند من حيث تدهور الامبراطورية المغولية الإسلامية التي ظل حكمها نحو أربعمائة سنة على عموم أنحاء الهند ـ وبدأ نفوذ وتسلط التدخل الأجنبي المستعمر الذي هو الانجليز ـ وكانت الفوضى عامة من النواحي السياسية والحكمية وانعدام الأمن والاستقرار . وأهم من ذلك فقد كانت الأمور بين الانجليز يديرها ويدبرها كيفما شاء ضد المسلمين للقضاء على الامبراطورية التي بقيت إسمًا وصورة فقط ـ وقد كانت الضربة القوية موجهة إلى الاسلام والمسلمين ، وكانت جماعات

وفرق من المبشرين والمسيحيين تجوب أطراف الهند ، وتبث الدعاية المسمومة ضد المعتقدات الاسلامية . وتنشط القسيسون بعقد الاجتماعات والحلقات والحفلات في الأماكن العامة والهجوم على المساجد والمدارس . وإلقاء الخطب ضد الدين الإسلامي ومهاجمة العلماء والسذج سوياً ، وإجبار المسلمين بقبول الدين المسيحي . ولا ننسى في مثل هذه الحالة مساندة الحكومة الانجليزية بكل نفوذها وقوتها لنشر دعوة النصرانية وتنزيل أنواع العذاب لكل من يقاوم حركتهم ويتصدى لهم . وفي هذه الظروف الحالكة كان الشيخ رحمة الله الفرد الوحيد الذي جازف بحياته وأعلن الجهاد ضد الإنجليز ودعى رئيس البعثة التبشيرية المسيحية القسيس فندر إلى المناظرة .

المناظرة :

وافق القسيس فندر على عقد المناظرة مكرهاً في مدينة آكره (AGRAH) المعروفة بآثارها التاريخية ، واتفق الجانبان على أن تكون المناظرة في الأمور الآتية :

١ ــ النسخ والتحريف الواقع في الإنجيل وخلو القرآن الكريم من التحريف .

٢ ــ ألوهية المسيح .

٣ ــ التثليث .

٤ ــ إثبات رسالة سيدنا محمد ﷺ .

وعقدت جلستان حضرهما إلى جانب حاكم المدينة والقائد العسكري وكبار موظفي ومستشاري ديوان الوالي والحكومة والعلماء والقضاة وعامة الشعب في بهو فسيح وعام . وخصصت الجلستان

للبحث في موضوع النسخ وتحريف الانجيل أثبت فيهما الشيخ بالدلائل مواضع التحريف في الإنجيل ، واعترف القسيس وجماعته بحصول تحريف في ثمانية مواضع فيه أمام جميع الحاضرين ونشر عن ذلك في الصحف وامتنع القسيس حضور الجلسة الثالثة وما بعدها ـ وجرت فيما بعد مراسلات خطية بينهما عن بعض المسائل المتنازع فيها . عجز القسيس عن إجابة الاستفسارات الواردة من الشيخ .

وكانت من أهم شروط المناظرة أنه إذا لم يستطع القسيس الإجابة على الأسئلة يجب عليه قبول دين الإسلام . وإذا عَجَزَ الشيخ رحمة الله أيضاً عن الإجابة ، عليه اتباع الدين النصراني ـ ثم اختفى القسيس في الهند بعد الهزيمة التي مني بها ـ وقد أدرجت جميع نصوص المناظرة في كتاب (البحث الشريف في إثبات النسخ والتحريف) وطبع ووزع ويحتوي على تفاصيل المناظرة وكل ما جرى فيها بين الطرفين من أسئلة وإجابات ومناقشات ـ وقد بقيت مواضيع إثبات نبوة سيدنا محمد ﷺ وعدم نسخ القرآن الكريم ، وعدم تحريفه ، وإثبات بطلان عقيدة التثليث وألوهية المسيح عليه السلام ، فلم تبحث في المناظرة لهروب القسيس ، فقد أسردها الشيخ في مؤلفاته بالإثباتات والبراهين وأبطل كل ما يزعمه النصارى في ذلك .

مؤلفـــــــــــــاته

ومع انشغاله في مكافحة الدعوة النصرانية والدفاع عن الإسلام وتجواله في أغلب أنحاء ومدن الهند بإلقاء الخطب وعقد الاجتماعات والمناظرات وقيادة فرق الجهاد فقد قام بتأليف كتب عظيمة أهمها :

١ ــ إزالة الشكوك (مجلدان) باللغة الأردية
٢ ــ إعجاز عيسوي باللغة الأردية
٣ ــ البروق اللامعة باللغة العربية
٤ ــ تقليب المطاعن باللغة العربية
٥ ــ معدل إعوجاج الميزان باللغة الأردية
٦ ــ إزالة الأوهام باللغة الفارسية
٧ ــ أحسن الأحاديث في إبطال التثليث باللغة العربية
٨ ــ البحث الشريف في إثبات النسخ والتحريف باللغة العربية
٩ ــ معيار التحقيق
١٠ ــ طبعت كلها في الهند وهي في الرد على الديانة المسيحية ـ أما كتابُهُ هذا « إظهار الحق » فيأتي ذكره في الصفحات المقبلة .

وكانت هذه الآونة التي بدأ فيها حكم المسلمين وأمر الإمبراطورية المغولية الإسلامية يلفظ أنفاسه الأخيرة على يد الإنجليز ، وكانت شركة الهند الشرقية تعمل على بسط نفوذها على الهند بكل ظلم وقسوة ، وقد اشتد غضبهم على الاسلام بعد هزيمتهم في المناظرة فقد كانت مناظرة الشيخ رحمة الله مع المسيحيين بمثابة شرارة أيقظت في نفوس المسلمين روح المقاومة فتكونت فرق الجهاد في عموم أنحاء الهند وخاصة في مدينة دلهي وتوابعها وأنحائها ، وكانت كلها مرتبطة عملاً ومعنوياً بالشيخ رحمة الله وبدأ الإنجليز في نصب المشانق للمسلمين وقتلهم بدون هوادة وأقاموا مذابح بشرية يندى لها جبين الانسانية ، وقد أعلن الانجليز إعدام الشيخ رحمة الله ومنح مكافأة قدرها ألف روبية لكل من يدلهم عليه أو يأتي به ، وصادروا أملاكه وظلت بيوته محاصرة من قبل الجيش الانجليزي مدة طويلة فلم يبق إزاء هذه الحالة

إلاَّ الهجرة من الهند والالتجاء بالبيت العتيق ، فخرج الشيخ تاركاً أهله وأقاربه ومدرستهُ وأملاكه متنكراً ووصل مكة عن طريق اليمن في عام ١٢٧٤هـ بعد أن قطع القفار والصحارى والبحار في مدة سنتين ولا يغيب عن البال ما تحمله الشيخ في سبيل الدفاع عن الاسلام وفي وصوله إلى مكة المكرمة في ذلك الوقت .

الشيخ رحمة الله في مكة المكرمة

وفي العصر الذي وصل فيه الشيخ إلى مكة المكرمة كان الشيخ أحمد زيني دحلان شيخاً لعلماء مكة المكرمة وإماماً وخطيباً للمسجد الحرام ، وكان والي مكة المكرمة الشريف عبد الله بن عون ، وأصبح الشيخ يشترك في حلقة درس الشيخ أحمد دحلان بعد صلاة الصبح بالمسجد الحرام وسأله يوماً عن مسألة فقهية . وبعد مناقشة بينهما تنبه الشيخ أحمد دحلان أن السائل ليس طالباً بل هو عالم جليل . فأخذ الشيخ أحمد دحلان بيد الشيخ رحمة الله ، وطلب منه أن يكشف عن شخصيته ويفصح عن نفسه . فأخبره الشيخ موجزاً عن أحواله والأهوال التي مرت عليه ـ فتأثر الشيخ أحمد دحلان بما سمع وفاضت عيناه بالدمع ، ودعاه إلى بيته وأكرمه وأقام له مائدة دُعي إليها كبار علماء مكة والمسجد الحرام ، وقد شرح الشيخ رحمة الله أحواله بتفصيل وبيان ، وما جرى بينه وبين القسيس فندر ، فأظهر الشيخ أحمد دحلان اعتناءً بالغاً وحفاوةً وتكريماً وعانقه طويلاً هو وجميع العلماء ومنحه إجازة التدريس في المسجد الحرام وسجل اسمه في السجل الرسمي لعلماء المسجد الحرام .

رحلـــة القســطنطينية الأولى

واستقر المقام بالشيخ تحت ظل بيت الله الحرام حتى وصلت رسالة عاجلة من المغفور له الخليفة السلطان عبد العزيز خان إلى والي مكة يطلب منه الاستفسار من الحجاج الهنود عن أحداث الهند الخطيرة وخاصة ما تم في المناظرة بين الشيخ رحمة الله والقسيس فندر وجماعته ، فذكر الوالي خبر هذه الرسالة للشيخ أحمد دحلان فأجابه أن العالم الهندي المناظر الذي يستفسر عنه الخليفة موجود في مكة المكرمة ويدرّس بالمسجد الحرام فقابله الوالي الشريف عبد الله بن عون وعرف منه حقيقة الحال ، وكتب للسلطان فجاءت الأوامر بإرسال الشيخ محمد رحمة الله إلى تركيا سريعاً كضيف خاص للخليفة وذلك في عام ١٨٦٤م .

وقد ظهر أنه بعد انهزام القسيس فندر والعلماء المسيحيين في ميدان العلم والمناظرة أرسلته الكنيسة ألى تركيا لنشر الدين المسيحي بها وفي القسطنطينية أشاع فندر أن علماء المسلمين قد انهزموا وانغلبوا وحولت جميع المساجد إلى كنائس وانتصرت النصرانية على الاسلام وما أشبه ذلك من أباطيل . فقد اضطربت الأوساط الدينية من هذه الإشاعات وانزعج الخليفة السلطان عبد العزيز من هذه الأخبار وطلب معرفة الحقيقة من والي مكة المكرمة .

وعندما سمع القسيس فندر عن وصول الشيخ محمد رحمة الله إلى قسطنطينة ولى هارباً ولا يعلم عنه فيما بعد شيء ، وقد أكرم السلطان الشيخ محمد رحمة الله إكراماً بالغاً وأقام اجتماعاً دينياً عظيمًا دعى فيه كبار رجال الدين والدولة وكلّف الشيخ محمد رحمة الله ببيان تفاصيل الثورة وما دار في الناظرة ، وما حدث في المقاومة ضد النصرانية ،

وما ارتكبه الانجليز من مذابح وحشية في عموم أنحاء الهند ، وعندئذ أمر الخليفة بالقبض على القسيسين ودعاة النصرانية ومصادرة كتبهم وإغلاق مراكزهم وإنزال الشيخ رحمة الله منزلاً مباركاً ، وكان يقابله كثيراً عقب صلاة العشاء بحفاوة بالغة مع رئيس الوزراء خير الدين باشا التونسي والشيخ أحمد أسعد المدني شيخ الإسلام وكبار رجال الدولة والمناصب الدينية ، وتقديراً من السلطان عبد العزيز خان للشيخ رحمة الله لجهاده في سبيل نصرة الإسلام والمسلمين أنعم عليه بالخلعة السلطانية وبالوسام المجيدي من الدرجة الثانية ، وعين له مرتباً شهرياً قدره خمسماية مجيدي ، وعينه عضواً في مجلس الوالي بمكة المكرمة .

كتــــاب إظهــــار الحــق

تأليفه العظيم الذي نحن بصدده الآن طلب منه السلطان عبد العزيز ورئيس الوزراء خير الدين باشا تأليف كتاب يشمل المسائل الجوهرية والمواضيع الأساسية والمباحث الحقيقية بين الإسلام والديانة المسيحية والتي تبطل مزاعم اليهود والنصارى مع إيراد كل ما حصل في المناظرة بالهند وطلبوا من الشيخ البقاء في تركيا لإكمال هذه الخدمة الإسلامية الدينية المحضة فرأى من الواجب عليه تأليف كتاب يكون بمثابة حصن منيع بين الإسلام والمذاهب الباطلة ، فشرع في تأليف هذا الكتاب الجليل في شهر رجب عام ١٢٨٠هـ ، وأكمله في ستة أشهر ، وطبع في تركيا تحت الرعاية السلطانية ، ووزع في البلدان العربية والاسلامية ـ كما ترجم باللغة الانجليزية والألمانية والفرنسية ، كما اهتم السلطان بترجمته إلى اللغة التركية باسم إبراز الحق . وقد علّقت جريدة لندن تايمز في ذلك الوقت بعبارة « لو داوم الناس على مطالعة وقراءة هذا

الكتاب لتوقف انتشار الدين المسيحي كلياً وتأبى النفوس من قبوله ويرجعون إلى الإسلام » ، وقد طبع هذا السفر الجليل عشرات المرات في تركيا ومصر وسوريا ولبنان وقام القسيسون ورجال الهيئات التبشيرية بمصادرتها وإتلافها حتى لا تصل إلى أيدي الناس في البلدان العربية والطبعة المتداولة هي الأخيرة بتحقيق الدكتور عمر الدسوقي ومطبوع في المغرب ولبنان ، وليس هذا الحال مع إظهار الحق فقط بل مع ترجماته الانجليزية والفرنسية والألمانية والتركية أيضاً ، ولا زالت توجد في هذه الترجمات نسخ عديدة في مكتبات العالم المهجورة ، والجدير بالذكر أيضاً أن الهيئات المختصة بالهند في عهد الحكومة البريطانية منعت طبع وتداول مؤلفات الشيخ رحمة الله ومجازاة كل من يقوم بطبع ونشر مؤلفاته ، ولكن مع ذلك ظلت كتبه رحمهُ الله محفوظة مصونة في البيوت والمكتبات القديمة وفي صدور العلماء ورجال التاريخ .

وقد طبعت الترجمة التركية لإظهار الحق في استانبول بالحروف الانجليزية أي اللغة اللاتينية طبعتين في عام ١٩٧٢م وعام ١٩٧٦م في مجلد واحد تشتمل على جزئين ، كما أن الترجمة الأُردية (من الإنجيل إلى القرآن) قد طبعت ثلاث طبعات في الباكستان وقام بترجمتها فضيلة المرحوم الشيخ أكبر علي العثماني ، وحققها وعلق عليها فضيلة الأستاذ محمد تقي العثماني ، وهما من العلماء الراسخين في العلم في الباكستان ، وكلما تطبع طبعة سرعان ما تنفذ من الأسواق وتتبادر إليها الأيادي لشرائها واقتنائها ، وقد لاقى « إظهار الحق » باللغة العربية وبالترجمات الأخرى إقبالاً مباركاً منقطع النظير وأثنى عليه وعلى مؤلفه جمع كبير من علماء الشرق والغرب وذكروه في كتبهم ورجعوا إليه كمصدر ومرجع .

تأسيس أول مدرسة في الجزيرة العربية على يديه

بعد تأليف « إظهار الحق » عاد الشيخ محمد رحمة الله إلى مكة المكرمة واشتغل بالتدريس في الحرم الشريف وبداره ، ولم يكن التعليم في أرض الحرم مرتباً منظماً بل كان مقتصراً على حلقات العلماء بدون تنظيم ولا منهج . ومن غير شك كانت الخلافة العثمانية تبذل أموالاً طائلة لعلماء المسجد الحرام ولطلاب العلم ، ولكن لم تكن هناك مدرسة نظامية تعتني بأبناء مكة والمهاجرين من حيث التعليم والتربية ، وكان شديد التألم من رداءة حالة التعليم وضياع أبناء المسلمين ، فقام اعتماداً على الله بفتح وتأسيس أول مدرسة في ربيع الأول عام ١٢٨٥هـ على نفقته الخاصة بمحلة الشامية بدار أحد أمراء الهند المهاجرين المعروفة بدار السقيفة عند مطلع جبل هندي بالشامية عرفت بالمدرسة الهندية أو مدرسة للشيخ رحمة الله ، ونظراً لضيق المكان لم يستطع الشيخ تنظيم المدرسة كما كان يتمناها ويريدها إلى أن قدمت لأداء فريضة الحج عام ١٢٨٩هـ إحدى أميرات الهند وهي السيدة صَوْلَةُ النِّسَاء ، وكانت تنوي بعد الحج بناء رباط في مكة كما هي عادة أهل الخير في أراضي الحرمين الشريفين ، وكانت على علم تام بشهرة الشيخ رحمة الله وجهاده في الهند فاستشارته في إقامة عمارة للفقراء فأخبرها الشيخ أن مكة المكرمة ليست بها مدرسة تتكفل بتعليم أبناء المسلمين وأخبرها عن مدرسته فوافقت على إنشاء مدرسة وفوضت الأمر إلى الشيخ وسبحان الله سبب الأسباب ، فقد اشتريت الأرض في حي الخندريسة بمحلة الباب ووضع الشيخ رحمة الله بيده المباركة حجر الأساس لأول مدرسة دينية نظامية تحت ظل البيت العتيق في صباح يوم

الأربعاء الموافق ١٥ شعبان عام ١٢٩٠هـ ، شهدت هذه البلدة المقدسة ميلاد أول مدرسة ببدء الدراسة فيها في احتفال كبير حضره جميع علماء وأعيان مكة وطلاب العلم بفضل هذه المحسنة وتخليداً لذكرها فقد أطلق الشيخ اسم الصولتية على المدرسة نسبة إلى السيدة صَوْلَتُ النِّسَاء ولم ينسبها إلى نفسه فأصبحت هذه المدرسة مركزاً للطلاب من كل حدب ومنبعاً للعلوم والمعرفة وهي أول مدرسة نظامية على الإطلاق وبالاتفاق في الجزيرة العربية تأسست على يد ذلك المجاهد العظيم ولا زالت والحمد لله تؤدي رسالتها في مدةماية وعشر سنين من الزمن وتاريخ المدرسة حافل بالخدمات العظيمة في نشر الدين والعلم وتخريج أفواج من العلماء والمدرسين والقضاة والمؤلفين ورجال الدولة حملوا رسالتها في البلاد وخارجها والحمد لله على نعمة التوفيق .

الرحلة الثانية والثالثة إلى القسطنطينية

بناء على ما كان سلاطين آل عثمان يحملون من حب عظيم وتقدير بالغ لمولانا الشيخ رحمة الله لخدماته وتضحياته وعفته وزهده في الدنيا ولما كان يحمل في نفسه من عزائم ومشاعر نحو الجهاد والتضحية وبذل كل نفيس وغالٍ في سبيل المصلحة العامة فقد طلبه السلطان العظيم عبد الحميد خان مرتين إلى تركيا ، وكان يعتقد في رأي ومشورة الشيخ اعتقاداً كبيراً ، وطلب منه البقاء بجانبه في تركيا ولكن الشيخ رحمة الله لم يوافق على ذلك وقد أنعم عليه الخليفة عبد الحميد بلقب عماد الحرمين الشريفين وبسيف من الذهب الخالص منقوش عليه العبارات التمجيدية بالإضافة إلى ما أنعم عليه سابقاً السلطان عبد العزيز خان من الخلعة السلطانية ومرتب شهري قدره خمسمئة مجيدي والوسام المجيدي .

تلامذتـــــه في مـــكة

ومما يجدر بالذكر أن الشيخ رحمة الله رأى بثاقب فكره وعمق نظره أن الدراسة في مكة وفي الحرم المكي الشريف خاصة ليست لها أية قواعد ثابتة أو نظام مدروس وأن حلقات العلماء مقتصرة فقط على بعض العلوم والكتب المتداولة في التفسير والحديث والفقه وأصوله وقواعد اللغة والفرائض وما في حكم هذه العلوم ، فعزم على إدخال علوم وكتب جديدة وتعريف الطلاب بما لم يعهدوه في محيط العلم والتدريس فشرع في تدريس المنطق والفلسفة الإسلامية وعلمي الكلام والمناظرة وعلم الهيئة وأقليدس (الهندسة) وعلم الفلك وطلب لها الكتب من الهند ، وكان يوماً مشهوداً في تاريخ العلم بالحرم المكي الشريف الذي شرع فيه العلامة الشيخ رحمة الله كتاب حجة الله البالغة ـ ومقدمة ابن خلدون وما أشبه ذلك من الكتب في العلوم آنفة الذكر ـ فتهافت عليه جموع الطلاب ، وأصبحت حلقته منهلاً عذباً أقبل عليه طلاب العلم والمعرفة ، وظل يقوم بالتدريس فترات طويلة ومتعددة في الحرم الشريف وفي داره ـ لذا فقد تخرج على يديه عدد كبير جداً من العلماء والقضاة وأهل الإفتاء يشار إليهم بالفضل والكمال في تاريخ مكة وليس من السهل حصر جميع من تلقوا العلم على يديه .

وإنَّمـــا نأتي بأسمـــاء بعضهم :

١ ـ جلالة الملك الشريف حسين بن علي الهاشـــمي	مؤسس الدولة الهاشمية بالحجاز
٢ ـ حجة الأمة قاضي القضاة الشيخ عبد الله ســـراج	مفتي الأحناف وشيخ العلماء بمكـــة

٣ ـ العلامـــة الشيخ أحمـد الدين جكوالي	مؤسس مدرسة مظهر العلوم بكـــراتشي
٤ ـ العلامـــة الشيخ أحمـــد أبو الخير مرداد	المدرس بالمسجد الحـــرام وشيخ الخطبـاء والعلماء
٥ ـ العلامـــة الشيخ أمين محمد علي مـــرداد	المدرس والإمام والخطيب بالمسجد الحرام ونائب رئيس محكمة مكة
٦ ـ العلامـــة الشيخ أسعـــد أحمد دهـــان	المدرس بالمسجد الحرام وقاضي المحكمة الشرعية الكبرى بمكة
٧ ـ العلامـــة الشيخ أحمد علي حسن النجـار	قاضي الطائف
٨ ـ العلامـــة الشيخ أحمد أبو الخير العطار	صاحب التآليف الشهـيرة في الأســـــانيد
٩ ـ العلامـــة الشيخ بدر الإسلام الكيرانوي	مدير المكتبة الحميدية بقصر يلدر ومترجم السلطان عبدالحميد خان
١٠ ـ العلامة الشيخ حسن عبد القادر طيب	المدرس بالمسجد الحرام
١١ ـ العلامة الشيخ حسن كاظم	المدرس بالمسجد الحرام
١٢ ـ العلامة السيد حسن صدقة دحلان	المدرس بالمسجد الحرام
١٣ ـ العلامة الشيخ درويش عجيمي	المدرس بالمسجد الحرام
١٤ ـ العلامـــة الشيخ شـرف الحق صـــديقي	المناظر المعروف وصاحب مؤلفات في الرد على النصـارى
١٥ ـ العلامـــة الشيخ شهاب الدين العثماني الكيرانوي	من قراء وعلماء كيرانـة
١٦ ـ العلامـــة الشيخ ضياء الدين عبدالوهاب المدراسي	مدير مدرسة الباقيات الصالحات في ويلور بجنوب الهند
١٧ ـ العلامـــة الشيخ عبد الرحمن أحمد دهان	المدرس بالمسجد الحرام والمدرسة الصولتيـة

١٨ ـ العلامـــة الشيخ عبد الرحمن الشيبي	المدرس بالمسجد الحرام وسادن ببيت الله الحرام
١٩ ـ العلامـــة الشيخ عبد الأول الجوتيـوري	الشهير بمصلح بنغـال وصاحب مؤلفات نافعة
٢٠ ـ العلامـــة السيد عبد الله محمد صالح الزواوي	المدرس بالمسجد الحرام ومفتي الشافعية بمكة ورئيس مجلس الشورى
٢١ ـ العلامـــة السيد عابـد حسين مالكي	المدرس بالمسجد الحرام ومفتي المذهب المالكي بمكة المكرمة
٢٢ ـ العلامـــة الشيخ عبد الله أحمد أبو الخير	المدرس بالمسجد الحرام ومفتي الأحنـاف وقاضي المحكمة الشرعية بمكة
٢٣ ـ العلامـــة الشيخ عبد الرحمن حسن العجيمي	المدرس بالمسجد الحرام وقاضي محكمة الطائف
٢٤ ـ العلامة الشيخ عبدالله الغمري	المدرس بالمسجد الحرام
٢٥ ـ العلامة الشيخ عبدالحميدبخش الفلكي	المدرس بالمسجد الحرام
٢٦ ـ العلامـــة الشيخ عبد الله محمد الغازي	المدرس بالمسجدالحرام والصولتية ومؤرخ مكة المعروف
٢٦ ـ العلامـــة الشيخ عبدالستار الدهلوي الكتبي	المدرس بالمسجد الحرام وصاحب التآليف النافعة في تاريخ علماء مكة
٢٨ ـ العلامـــة الشيخ عبد الرحمن بخش المـلا	المدرس بالمسجد الحرام والمدرسة الصولتية
٢٩ ـ العلامـــة الشيخ عبدالخالق محمد حسين البنقالي	المدرس بالمسجد الحرام ومؤسس المدرسة الإسلامية (دارالفائزين) بمكة المكرمة
٣٠ ـ العلامـــة الشيخ عبد الله القاري	المدرس بالمسجد الحرام والصولتية وشيخ القراء بمكة

٣١ ـ العلامــــة الشيخ عبد الرحمن الإلٓـه آبادي	شيخ القــراء بالهنــد
٣٢ ـ العلامة الشيخ عبدالسميع الرامبوري	
٣٣ ـ العلامــــة الشيخ عبد الوهاب المدارسي	مؤسس مدرسة الباقيات الصالحات في ويلور بجنوب الهنــد
٣٤ ـ العلامة الشيخ عبدالقادر خوقير	المدرس بالمسجد الحرام
٣٥ ـ العلامــــة الشيخ عبد الله صدقة زيني دحلان	المدرس بالمسجد الحرام
٣٦ ـ العلامــــة الشيخ عبد الحق القــاري	المدرس بالمسجد الحرام والصولتية ومؤسس المدرسة الفخرية بمكة المكرمة
٣٧ ـ العلامــــة الشيخ محمد حامد الجداوي	المدرس بالمسجد الحرام ومدير مدرسة الفلاح وقاضي محكمة جدة
٣٨ ـ العلامــــة الشيخ محمد سعيد أبوالخير مرداد	المدرس بالمسجد الحرام ومدير الأوقاف بمكة
٣٩ ـ العلامة الشيخ محمد سعيد بابصيل	المدرس بالمسجد الحرام
٤٠ ـ العلامــــة الشيخ محمد حسين الخياط	المدرس بالمسجد الحرام ومؤسس المدرسة الخيرية بمكة المكرمة
٤١ ـ العلامــــة الشيخ الملا محمد إسماعيل النواب	الطبيب والشــاعر المعروف
٤٢ ـ العلامــــة الشيخ محمد علي سليمان مرداد	المدرس والإمام والخطيب بالمسجد الحرام
٤٣ ـ العلامة الشيخ محمد صالح الميمني	مؤرخ مكــة
٤٤ ـ العلامــــة الشيخ محمد علي زين العابدين	المدرس بالمسجد الحرام
٤٥ ـ العلامــــة الشيخ محمد علي صديق كمــال	المدرس بالمسجد الحرام
٤٦ ـ العلامــــة الشيخ محمد هاشم أشعــري	مؤسس جمعية نهضة العلماء بأندونيســــــا

٤٧ ـ العلامـــة الشيخ محمد صالح صديق كمال	المدرس بالمسجد الحرام
٤٨ ـ العلامـــة الشيخ محمد سليمان حسب الله	المدرس بالمسجد الحرام
٤٩ ـ العلامـــة الشيخ أبوالخير الفاروقي الهندي	المصلح والمربي الشهير ومن علمـاء الهند
٥٠ ـ العلامـــة الجليل الشيخ محمد علي	مؤسس مدرسة دار العلوم ندوة العلماء بالهنـــد

٥١ ـ وختامــه مسك العلامة الجليل الشيخ محمد سعيد رحمـــة الله ناظر ومدير المدرسة الصولتية بعد وفاة مؤسسها والذي خدم العلم نحو نصف قرن كامل وتخرج في عهده وعلى يديه عدد كبير من العلماء والمدرسين والشخصيات الفاضلة ، وقد كان حفيداً للشيخ رحمـــة الله وخير خلف له وغـــيرهم .

وفاتـــــــــــــه

بعد حياة حافلة بجلائل الأعمال من التصنيف والتأليف ، والجهاد بالسيف والقلم ، والتدريس في الهند والحرم المكي الشريف ، وبعد تأسيس أعظم مدرسة في ربوع الحجاز ، وتخريج عدد كبير من حملة العلم والمعرفة لبى هذا المجاهد العظيم نداء ربه في ليلة الجمعة ٢٢ من شهر رمضان المبارك عام ١٣٠٨هـ الموافق ١/٥ عام ١٨٩١م ، ودفن في زمرة الصحابة والصديقين والشهداء والصالحين بالقرب من أم المؤمنين السيدة خديجة الكبرى رضي الله عنها بمقبرة المعلاة ـ في مكة المكرمة .

رحمه الله رحمة واسعة وجعل الجنة مثواه ومأواه آمين ـ ولا يزال أحفاد الشيخ رحمة الله قائمون بأداء رسالة جدهم العلمية والدينية ، ولا زالت المدرسة الصولتية عامرة بالطلاب والمدرسين على أحسن

وجه ، ولا زالت مؤلفاته العظيمة باللغة العربية والفارسية والأردية مرجعاً وسنداً لطلاب العلم وغيرهم ، ومقصداً للباحثين والمحققين ، مما أدى إلى تعدد طبعاتها وكثرة إخراجها والتهافت عليها ، وذلك دلالة واضحة على قبول مؤلفها عند الله تعالى ـ وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم ، وهو نعم المولى ونعم النصير.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آلـه وصحبه أجمعين .

محمد مسعود سليم رحمة الله
مدير المدرسة الصولتيـــة
بمكة المكرمـــة